

نفحات القرآن

[166] وتجدر الإشارة هنا الى أن ما ذكرناه في شروحنا للاقسام الثلاثة كان صحيحاً وإن لم يتفق شيئاً ما مع الاستعمالات العصرية لمفردتي "العلم" و"الفلسفة" وان المراد كان اىصال المفهوم الى أذهان القراء فقط. فضلا عما ذُكر سابقاً نضيف هنا القول بإمكانية ادغام القسم الثاني والثالث في قسم واحد، ذلك لأن القوانين الكلية التي رسمت التاريخ وتُسُخر وتُسْتنبط من التاريخ النقلي، تارة تكون ناطرة الى الوضع الراهن للمجتمعات، وتارة اخرى تكون ناطرة الى تحول وتكامل المجتمعات. والمهم هنا هو أن القرآن المجيد لم يقتنع بالسرد المجرد لحوادث التاريخ بل أشار أيضاً الى السنن والقوانين الكلية التي حكمت المجتمعات، القوانين التي يمكنها أن تزيل القناع عمّا كان ويكون، أو عن أي تغير وتحول تاريخي كأيّ تقدم أو سقوط أو فشل حصل للمجتمعات. يشير القرآن – مثلاً – الى هذه السنة: (ذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ يُغَايِبُ عَنْهُمُ الْمُضْغَايِبَ وَأَنزَعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَايِبُ رَوَا مَا بَيَّنَّفُسَهُم) (الأنفال / 53). وينبغي الالتفات الى أن القرآن ذكر هذه السنة بعد ما أشار الى قصة قوم فرعون وعذابهم بسبب ذنوبهم. ويقول في آيات اخر (بعد اشارته الى تاريخ الاقوام القويّة التي بادت بسبب تكذيبهم الرسل وشركهم وذنوبهم وظلمهم): (فَلَا مَؤْمِنَ يَكْفُرُ بِذُنُوبِهِمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سَفْهَةً اِذْ اِذْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ) (المؤمن / 85). نعم تنبغي الوقاية قبل العلاج، وهذا قانون كلي، لأنّ الانسان لو ابتلي بجزاء أعماله فلا فرصة حينئذ لجبران الماضي. الإجابة على إشكال: إن قبول وجود قانون كلي في تاريخ الانسان يجسد مفهوم الجبر في التاريخ ولا يتفق وحرية الارادة والخيار. وهذا ما قد يقال. لكن الالتفات الى نقطة في هذا المجال يرفع الاشكال بالكامل والنقطة